Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى نقل صوره ومشاهده فى واقعية وصدق ، وليس فقط فى جانب رواية ماكان يجرى ، أو وصف ما كان يدور هنا أو هناك ، فى المساجد والمنتديات والدور والقصور والأسواق وأحيانا الزنج ومجتمعات الفارسيين والروميين ، والمكتبات وغيرها ، وغيرها ، وانما وباضافة النقد الاجتماعى اليها وكان هذا النقد يبلغ فى أحيان كثيرة ، مرتبة حادة ، أكثرت من حساده وخصومه ..

بل اننا نستطيع أن نقول أن جوانب نقده ، قد غطت صور السلب فى مجتمع العباسيين كله ، بل وامتدت من المجال الاجتماعى ، أو المجتمعى ، الى غيره من المجالات لا سيما المجال السياسى نفسه ، شأن كل أديب وصحفى متابع ، متفاعل وملتزم .. واذا كنا هنا نكتب عن ذلك كله باختصار شديد ، لأن حياة الجاحظ وفكره وجوانب شخصيته تحتاج الى أكثر من مجلد ، فاننا نكتفى بهذه الكلمات ، نضيف اليها - كعادتنا - قولا لأحد من اقتربوا من الرجل ، أكثر مما اقتربنا .. وذلك عندما يقول :

« .. يكفى أنه نبه على فساد أوضاع حاولت ثورة الزنج ٢٦ رمضان ٢٥٥ هـ أغسطس ٨٦٩ م - أن تقوم منها ما قدرت على التقويم وفهمه ، وربما بدت المغالاة فى تلك المقالة الا ان من يقرأ كتاب البخلاء الذى وضعه الجاحظ فى آخر أيامه ، الى جانب بعض رسائله التى ترتفع أحيانا الى مستوى الكتب النادرة ، يلحظ أن صاحب الزنج أو قائد الثورة ، كان ينطلق فى الواقع من حيث انتهى صاحب البخلاء » .. (١٢)

فهل يعنى ذلك ، أن كتاباته ، كان لها أثرها فى قيام هذه الثورة شأن جميع الكتاب المؤثرين ؟

بل لقد قمنا بعمل احصاء لهذه الفئات والصور والمشاهد والأشخاص الذين تناولهم نقده الاجتماعى ، وقلمه الذى اعتبر « ترمومترا » لقياس درجة حرارة هذا المجتمع بما فيه ومن فيه ، فبلغت أكثر من مائه فئة وصورة ومشهد. كان من بينهم على سبيل المثال لا الحصر :

« الذين يأكلون على جميع الموائد - المتاونون - الماديون - المنجمون - المتحذلقون - الدجالون - البخلاء - العصبيون - الجشعون - المستغلون -